الهوية الإسلامية وتحديات العولمة

إعداد د. علي محمد ديهوم
أ. عزالدين عبدالحفظ أبوشنية
أ.أبوبكر هدة المحروق

مقدمة:

يرى الكثيرون أن هناك ملامح متعددة للعولمة اقتصادية وثقافية واجتماعية، وهي إجمالاً تؤثر في تحديد هوية أي مجتمع وخصوصاً المجتمعات الإسلامية، حيث يسعى الغرب إلى فتح البلدان في وجه الثقافة الغربية وقولبتها في ثقافة واحدة بفعل ثورة الاتصالات التقنية التي حققتها، وهذه الثقافة الناتجة عن العولمة هي ثقافة تسلطية نتيجة شعورها بالقوة ونتيجة استغلالها السياسي وتوافر وسائل الهيمنة لديها مما شكل خطراً على الثقافات الأخرى، وتهديداً لهويتها الحضارية، وإن التهديد للهوية الثقافية إنما هو مقدمة لمخاطر أعظم على الدولة الوطنية والاستقلال الوطني والإرادة الوطنية، فتعم قيم الاستهلاك ولا تنظر الأمم إلى مشاريع وطنية وخطط إستراتيجية بعيدة المدى حيث تنحصر الهوية الوطنية والدينية وتتقلب القيم حيث يصبح كل من يدافع عن الخصوصية والأصالة والهوية الثقافية والاستقلال الحضاري رجعيا ومتخلفاً، وتعتبر الهوية والثقافة الإسلامية من أكثر الهويات والثقافات المستهدفة في العالم اليوم وللعولمة تأثيرات كبيرة على هذه الهوية.

إشكاليات البحث:

تدور مشكلة البحث حول التساؤل الرئيسي وهو "ما تأثير العولمة على الهوية والثقافة الإسلامية "؟ ويمكن أن نطرح بعض التساؤلات الفرعية الأخرى زيادة في التحليل ومنها:

ما هي طبيعة الهوية الإسلامية؟

ما هي طبيعة الهوية؟

ما هي طبيعة العولمة؟

ما هي سبل مواجهة تأثيرات العولمة على الهوية الإسلامية؟

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث من خلال تعرضه لموضوع مهم يشغل الرأي العام الإسلامي وهو التأثرات الناتجة عن العولمة على الهوية الإسلامية وكيفية المحافظة على هذه الهوية، خصوصاً في ظل التحولات الكبرى على الساحة الدولية والإسلامية.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الآتي:

تحديد طبيعة الهوية الإسلامية.

تحديد طبيعة العولمة.

تحديد تأثيرات العولمة على الهوية الإسلامية.

تحديد سبل مواجهة التحديات على الهوية الإسلامية.

منهجية البحث:

سيتم استخدام المنهج التاريخي والتحليلي والمقارن.

تقسيمات البحث:

لمحاولة الإجابة على التساؤلات التي طرحتها مشكلة البحث سيتم تقسيم البحث إلى أربعة محاور:

أولاً: الإطار النظري للدراسة.

ثانياً: طبيعة الهوية الإسلامية.

ثالثاً: تأثيرات العولمة على الهوية والثقافة الإسلامية.

رابعاً: سبل مواجهة تأثيرات العولمة على الهوية الإسلامية.

أولاً: الإطار النظري:

طبيعة الهوية:

الهوية هي الخصوصية التي ينبغي أن تتميز بها المجتمعات كونها الوعاء الأشمل كما يتميز بها المجتمع عن غير من العناوين الفرعية.

وزاد الاهتمام بمفهوم "الهوية" في الفترة الأخيرة من قبل الباحثين، فبدأت الكتابات تتزايد بإطراد من العديد من العلوم ومجالاتها الفرعية حول تعريف الهوية ومعناها، وتطور الهويات العرقية والدينية واللغوية والوطنية وغيرها من الهويات وحول أدوارها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ويوحي انتشار البحوث حول الهوية أن ثّمة وعياً نامياً بأن الهويات كما لاحظ " روجرز سميت"، لها تأثير كبير في السلوك في مجال السياسية(1).

ولقد كانت وما زالت الهوية موضوع جدل في أدبيات الفكر والثقافة وعنواناً رئيسياً في الصراعات، ويعد مفهوم الهوية من المفاهيم التي أخذت حيزاً من تفكير الباحثين وقد زاد هذا الاهتمام في زمن العولمة، حيث عدت الهوية مستهدفاً رئيسياً في هذا الوقت.

(1) راوي عبد العال وآخرون، قياس الهوية دليل للمتخصصين في العلوم الاجتماعية، ص، (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2014)، ص 27.

ولقد ظهرت تعريفات المختلفة لمفهوم الهوية، حيث عرفها "حليم بركات" بأنها: وعي الإنسان وإحساسه بانتمائه، إلى مجتمع أو أمة أو جماعة، أو طبقة في إطار الانتماء الإنساني العام. إنها معرفتنا بما، وأين، ونحن، ومن أين أتينا، وإلى أين نمضي، وبما نريد لأنفسنا وللآخرين، وبموقعنا في خريطة العلاقات والتناقضات والصراعات القائمة(1).

ويضيف بأن هناك علاقة وثيقة متبادلة بين مواقع الأفراد والجماعات، في البيئة الاجتماعية والاقتصادية، والاختلافات في تحديد الهوية، حيث أن الجماعات التي تحتل مواقع القوة والجاه والثروة وتهيمن على النظام السائد، وتستفيد من العلاقات مع القوى الخارجية المهيمنة تختلف في فهمها للهوية، وممارساتها عن تلك الجماعات، التي تشغل مواقع دونية وتكون أكثر تضرراً، بسبب الأوضاع القائمة، وتلك التي تقع في الوسط بين ويتم ذلك خاصة في زمن العولمة(2).

وتعرف الهوية كذلك بأنها "مجموعة العقائد والمبادئ والخصائص والترميزات التي تجعل أمة ما تشعر بمغايرتها للأمم الأخرى"(3).

حيث أن هذا التعريف ركز على ما تتميز به أمة عن أخرى، من ناحية العقائد والمبادئ والخصائص وهي العناصر الأساسية التي ينبغي أن تتميز بها الأمة عن غيرها.

وكذلك تعرف الهوية بأنها " عبارة عن تراكم المعارف والثقافات والتجارب والصراعات والأفكار والمؤلفات والكتابات، وهذا كله يشكل المرجعية الأساسية للشعوب" ويتميز هذا

(1) محمد حسن البرغتي، الثقافة العربية والعولمة، ط1، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2007) ص ص 113، 114.

(2) المصدر نفسه، ص 115.

(3) محمد كاظم هاشم، هوية الدولة في الفكر الإسلامي العاصر، مجلة العلوم القانونية والسياسية، جامعة ديالى، العدد الثاني، 2013، ص7.

التعريف بكونه يتضمن التجارب التي تمر بها أمة من الأمم أو شعب من الشعوب والتي تكون من خصوصياته بالإضافة إلى الصراعات التي يخوضها في إطار سيره، مضافاً إلى نتاجات هذا الشعب من الأفكار والكتابات التي تشكل مع التراكم للمعارف والثقافات المرجعية الأساسية لهذا الشعب أو الأمة.

وتعرف أيضاً: بأنها هي الأمر المتعلق من حيث امتيازه عن الأغيار والامتياز هنا بمعنى الخصوصية والتفرد والاختلاف، لا بمعنى التفاضل والتمايز، والهوية حسب هذا التعريف ليست شيئاً صلباً تابتاً لأنها تتعلق بقضية الإنسان، وضرورة حركته بوعي وإدراك، والهوية يمكن أن تمر بمراحل تطور واع، إدراك متجدد ويمكن أن يحدث لها انكسار لجمودها وعدم جدليتها وفهم معطيات الهويات الأخرى وكيفية التعامل معها(1).

وتعرف كذلك بأنها "الذاتية والخصوصية، وهي جماع القيم والمثل والمبادئ التي تشكل الأساس الراسخ للشخصية الفردية والجماعية، أي هي مجموعة الخصائص والمميزات التي ينفرد بها فرد أو شعب أو أمة والتي تتوارث عن ماضي وهي تاريخ وتراث، وبما في التراث من لغة ودين، وما للأمة من انتصارات وانتكاسات وطموحات وانتماءات وخصائص تجعل من ينتمي إليها ذا ذاتية متميزة عن غيره، فيصح ويبقى هو ذاته ونفسه، ويفهم في التعريف أن هوية الفرد هي عقيدته وجنسه وأرضه ولغته وثقافته وحضارته وتاريخه والروح المعنوية والجوهر الأصل الكيان والمصالح المشتركة"(2).

(1) محمود العالم، الفكر العربي بين الخصوصية والكونية، ط1 (القاهرة: دار المستقبل العربي: 1998) ص 15.
(2) عبد الهادي أبو طالب، أزمة الهوية في نظم التعليم في العالم الإسلامي، ط1، (الرباط: الأكاديمية المملكة المغربية، 1991) ص 108.

ويعرفها محي الدين صابر بأنها " الاسم السياسي للشخصية التاريخية أو الشخصية الثقافية أو الكيان الحضاري لمجموعة من الناس في مكان معين، وهي تمثل الخصائص الحضارية التي ابتدعتها المجموعة التي تنتمي إليها من اللغة والدين والقيم الجمالية والأخلاقية، وإنما العلاقات الاجتماعية والمهارات التقنية، وفلسفة الحياة والموت"(1).

ويقدم محمد الجابري مساهمة معمقة في فهمه للهوية حيث يرى فيها كيان يصير، يتطور، وليست معطى جاهزاً ونهائياً، وهي تصير وتتطور، وإما في اتجاه الانكماش، وإما في اتجاه الانتشار، وهي تغتني بتجارب أهلها ومعاناتهم وانتصاراتهم وتطلعاتهم، وأيضاً باحتكاكها سلبياً وإيجابياً مع الهويات الثقافية الأخرى(2).

كما يرى الجابري أن الهوية تنقسم إلى ثلاث مستويات هي على مستوى الفرد، ومستوى الجماعة، ومستوى الأمة.

على مستوى الفرد: وهي هوية الفرد داخل الجماعة وهي عبارة عن هوية متميزة ومستقلة، عبارة عن "أنا" لها" أخر" داخل الجماعة نفسها.

على مستوى الجماعة: هي هوية الجماعات داخل الأمة ولكل منها "أنا" خاصة بها. و"آخر" من خلاله تتعرف على نفسها بوصفها ليست إياه.

على مستوى الأمة: وهي هوية الأمة الواحدة إزاء الأمم الأخرى، غير أنها أكثر تحديد أو أوسع نطاقاً وأكثر فاعلية للتعدد والتنوع والاختلاف(3).

(1) محمد حسن البرغتى، مصدر سابق، ص116.
(2) المصدر نفسه، ص 116.
(3) نجاح قدوره، العولمة ومستقبل البلدان العربية،ط1، (طرابلس: دار الحكمة للتوزيع والنشر: بلا ث) ص 219.

ومن هنا فالهوية هي الحقيقة المميزة المعبرة عن الخصائص الذاتية لكل مجموعة بشرية، وتظهر بصورة جلية في الأنموذج الحضاري، من خلال الثقافة العامة وأنماط العلاقات السائدة بينها، وهي شعور بالخصوصية يتجسد في تعابير وسلوكيات ثقافية واجتماعية، وهي نتاج يتشكل في طبيعة العلاقات الاجتماعية وطبيعة التاريخ المترسب في الذاكرة الاجتماعية، والهوية بمثابة المفاتيح التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها والتي عن طريقها يتعرف عليه الآخرون، بوصفه منتمياً إلى تلك الجماعة، وهي بتجمع عناصرها على مرار تاريخ الجماعة "التاريخ" ومن خلال تراثها الإبداعي "الثقافة"، وطابع حياتها الواقع، وهي تتجلى خارجياً بتصرفات وسلوكيات وعادات، تنحصر قيمتها في أنها عناصر معلنة تجاه الجماعة الأخرى، وهي أيضاً تميز أصحاب هوية ما مشتركة عن سائر الهويات الأخرى.

وهذه الهوية تحدد الشعور العميق الوجودي الأساسي للإنسان والشعور العميق الخاص بانتمائه، ويمنح الانتماء للفرد غايته وأمل حياته، والإحساس بأن جهوده الإبداعية لن تذهب هباء بموته، بل تتعدى حياة الجماعة التي ينتمي إليها بعد وفاته(1).

ويرى الجابري أن الهوية لا تكتمل ولا يبرز خصوصيتها الحضارية ولا تعدو هوية ممتلئة قادرة على نشدان العالمية على الأخذ والعطاء، إلا إذا تجسدت مرجعيتها في كيان مشخص تتطابق فيه ثلاث عناصر:

الوطن: بوصفه الأرض والموات أو الجغرافيا والتاريخ وقد أصبحا كياناً واحداً.

الأمة: بوصفها النسب الروحي الذي تنسجه الثقافة المشتركة.

(1) محمد كاظم هاشم، مصدر سابق، ص 8.

الدولة: بوصفها التجسيد القانوني لوحدة الوطن والأمة.

والهوية لا تعد متجزاً مكتملاً، ولا حالة من التبات لا تمس بل هي في حالة من التغير والتطور، قابلة للحذف والإضافة، تربطها علاقة تفاعلية وتبادلية مع الغير، هذه العلاقة لا تلغي الهوية ولكن تتريها وتجعل منها هوية فاعلة، والهوية قابلة للتطوير والتحول وحتى بعض مكوناتها الثابتة، كالدين واللغة تخضع لنوع من التغيير في الفهم والتفسير، ولكن في الغالب لا تمس الأصول؛ لأن المسائل المتعلقة بالعقيدة يصعب الاقتراب منها لتمتعها بالقدسية، أما الشق المتعلق بالعادات والأفكار فإنه أكثر عرضة للتغيير، فهو يخضع للحذف والاستعارة من الثقافات الأخرى(1).

طبيعة العولمة:

شاع استخدام مصطلح "العولمة" واتسع نطاق تداوله منذ بداية العقد الأخير من القرن العشرين، لارتباط هذا المصطلح بالمتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية العميقة والمتنامية، التي يشهدها عالمنا المعاصر، وقد ثار الكثير من الجدل حول مفهومه واختلف المفكرون في تحديد معنى علمي جامع للمصطلح ومفهومه، وزادت حدة الخلافات حول هذا المصطلح بين الخصوم والأنصار، خصوم العولمة لا يرون في العولمة إلا أنها الهيمنة، أو الأمركة، والاختراق، والاستعباد، وأن العولمة مجرد أسطورة من أساطير العصر، وأن العولمة شكل من أشكال الاستعمار لا يختلف في هذا عن أهداف الموجات

(1) محمد حسن البرغتى، مصدر سابق، ص ص 118- 122.

الاستعمارية السابقة، وأن الذي يميز المشروع الاستعماري الجديد أنه يعمل في إطار صعود الهيمنة الأمريكية.

بينما الأنصار يرون العولمة بأنها نقلة نوعية جديدة ويمكن التأثير فيها ولذلك يدعون إلى التفاعل الخلاق مع الظاهرة والاسهام فيها وكلهم ميزوا بين العولمة والعالمية، والعولمة والهيمنة والعولمة والأمركة، والعولمة بالنسبة للأنصار تمثل مرحلة اندماج عالمي أعمق على عدة مستويات، فمن جهة هناك توحيد أكبر لمصادر المعلومات، للعروض وللطلبات، أي للنخب العارضة وللجهود، ومن الناحية الثانية هناك توحيد أشمل لشبكات الاتصال وأدواته، وأن البشرية تخضع لتاريخية واحدة بمعنى أنها تجرى في إمكانية ثقافية واجتماعية وسياسية موحدة أو في طريقها للتوحيد وتؤدي إلى كثافة انتقال المعلومات وسرعتها إلى درجة أن يعيش العالم كقرية صغيرة وما يترتب على ذلك من علاقات(1).

وبالتالي لم يتفق الباحثون على تعريف جامع أو محدد لظاهرة العولمة، ولكنهم اتفقوا على أن الغموض والإبهام ما يزالان يكتنفان الظاهرة، ولذلك استمرت إشكالية تحديد المفهوم، ونتيجة لذلك ظهرت العديد من التعريفات، بعضها استمر بالتركيز على بعد واحد، وبعضها نظر إلى العولمة على أنها عملية متعددة الأبعاد.

فلقد عرفها صندوق النقد الدولي بأنها " التعاون الاقتصادي المتنامي لمجموع دول العالم، الذي يحتمه ازدياد حجم التعامل بالسلع والخدمات وتنوعها عبر الحدود إضافة إلى تدفق رؤوس الأموال الدولية والانتشار المتسارع للتكنولوجيا في إرجاء العالم كله"، ويلاحظ أنه ثم

(1) عمران محمد البرغتي الحدارى، العولمة وأثرها على سيادة الدولة، ط (طرابلس، المركز العالمي: 2008) ، ص ص 105- 106.

التركيز في هذا التعريف على بعد واحد وهو البعد الاقتصادي، وكذلك يعرفها " توماس فريدمان أن " العولمة تنطوي على ذلك التكامل الصارم في الأسواق، وفي الدول والأمم وفي التكنولوجيات إلى درجة لم تحدث من قبل، وبطريقة تمكن الأفراد والشركات والدول والأمم من التجول حول العالم والوصول إلى مسافات أبعد وبصورة أسرع وأعمق وأرخص(1)".

بينما يعرفها آخر بأنها" هي التداخل الواضح لأمور الاقتصاد والاجتماع والسياسية والثقافة والسلوك، دون اعتداد يذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة أو الانتماء إلى وطن محدد أو لدولة معينة ودون الحاجة إلى إجراءات حكومية"، وبهذا يري هذا الباحث أن العولمة نمط من أنماط الحضارة لها مكوناتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافة، وأنها تداعيات تاريخية أفضت إلى واقع تعيشه اليوم وتتعايش معه، كما أنها امتداد طبيعي لتدفق المعلومات وتداولها بسهوله بين دول العالم، ومن ثم تتضاءل أهمية البعد الجغرافي ويقل تأثيره في مجال إنشاء واستمرار العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية عبر الحدود، وبالتالي يري أن العولمة ظاهرة قديمة ترجع بداياتها إلى بواكير القرن الخامس عشر وتتجلي عناصرها الأساسية في تنامي العلائق والنشاطات المتبادلة بين البلدان سواء في مجال تبادل السلع والخدمات، أو اشتغال رؤوس الأموال، أو في انتشار الأفكار والمبادئ والمعلومات بوجه عام، أو في تأثير أمه بعادات وتقاليد وقيم غيرها من الأمم(2).

(1) محمد حسن البرغتى، مصدر سابق، ص ص 59. 60 .

(2) عاطف السيد، العولمة في ميزان الفكر دراسة تحليلية، ط1، (للقاهرة: فلمنج للطاعة. 2002)، ص ص 8- 9.

وكما يجمع مجموعة من الباحثين على صعوبة فهم العولمة بمعزل عن الأمركة . حين يعتبروا أن العولمة هي وجه من وجوه الهيمنة الامبريالية، فهي تجسد لسيطرة أمريكا على العالم ورغبتها في تعميم نموذجها الثقافي على المجتمعات، مستخدمة في ذلك التطور الهائل في منظومات التقنية، وبشكل خاص في حقل الاتصالات. حيت يشير فيليب غوميت إلى " أن سيطرة الواقعية الجديد على السياسية الخارجية الليبرالية الجديدة في أميركا تسمح لنا برؤية أكثر وضوحا للتحول من الليبرالية المتأصلة إلى الليبرالية المفترسة، حيث أن اللاعبين الرئيسيين وخاصة أمريكا، يحصلون على نتيجة مميزة من هذه العملية، ويتدخلون في الأسواق لضمان نتائج وفوائد مرغوب فيها، عندما يستطيعون القيام بذلك، وتخريبه بسبب سلوكهم الذي يختبئ وراء الخطب الليبرالية، حيث يصبح سلوكهم بالممارسة سلوكا متميزا بشكل واضح" (1).

وأكد على ذلك صناع القرار الأمريكي حيث يقول الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون، "أن إمكانياتنا ليس لها حدود، فنحن أقوى وأغنى بلد في العالم، وفي وسعنا أن نستعرض قوتنا العسكرية حول العالم، كما أن في إمكاننا أن نؤثر في جميع القضايا السياسية الكبيرة في زماننا ولثقافتنا وأفكارنا وأنظمتنا الاقتصادية والسياسية من الجاذبية الدولية، ما هو أعظم منه في أي وقت مضى"، ويشير إلى ذلك أيضا وزير خارجية أميركا الأسبق"جيمس بيكر" حيث يقول "لقد ولت الإمبراطورية السوفيتية، فقيم ومبادئ التجربة

(1) محمد حسن البرغتى، مصدر سابق، ص ص68. و6.

الأمريكية الديمقراطية والسوق الحر، يتم اعتناقها في مختلف أنحاء العالم، على نحو لم يسبق له مثيل من قبل"(1).

وكما يرى البعض أن العولمة هي هيمنة القيم الأمريكية وسيادة النموذج الأمريكي وهيمنته على العالم، هذا النموذج الذي عبر عنه المفكر الأمريكي الياباني الأصل" فوكوياما" في كتابه "نهاية التاريخ" حيث فسر هذا الكتاب بوضوح هيمنة القيم الأمريكية، كما يعتبر نهاية الشيوعية، وانهيار الاتحاد السوفيتي نهاية للتاريخ بإنتصار الرأسمالية الحاسم على الشيوعية، ويصرح فوكوياما بأن المعركة الإيديولوجية التي بدأت بعد الحرب العالمية الثانية بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي كانت نتيجتها انتهاء الحرب الباردة بسبب سقوط الاتحاد السوفيتي والكتلة الاشتراكية، في الوقت الذي تعاظمت فيه القدرات التكنولوجية الأمريكية، وتفوقت فيه المؤسسات والنظم على النهج الأمريكي، وقد دخل في روع الغرب أن سبب انهيار المعسكر الشرقي ورسوخ المعسكر الغربي يرجع إلى الفساد الكامن في النظام الاشتراكي، وإلى سمو النظام الرأسمالي، واعتقد الغرب أنه صاحب النظام الأمثل الذي يحب فرضه على العالم حتى يسود العدل، ويسود السلام في ظل هيمنة القيم الأمريكية (2).

وترى "ثماياتارى سيباك" أن العولمة في الواقع هي كلمة لتغطية الأمركة، وإذا ما فهمت أمريكا على أنها القوة المهيمنة عن كل المؤسسات الفاعلية على المستوى الدولي". كما يري " برهان غليون العولمة من منظور أخر، وهي تعني بالضرورة الأمركة إذا فهمنا من

(1) المصدر نفسه، ص و 6.
(2) عاطف السيد، مصدر سابق، ص.10.

الأمركة أرجحيه المساهمة الأمريكية في النتاج الثقافي، المادي، والمعنوي، الذي يملأ وسوف يملأ الفضاء العالم الجديد الذي أنشأته ثورة المعلومات لكن لا تعني ذلك إذا فهمنا من الأمركة تحويل ثقافات الشعوب والطبقات جميعاً إلى ثقافة أمريكية أو تعميم القيم الأمريكية على جميع شعوب العالم، والذين يتحدثون عن الأمركة يقصدون في الواقع ما يمكن أن يؤدي إليه الانتشار الواسع لمنتجات الثقافة الأمريكية"(1).

ثانياً: طبيعة الهوية والثقافة الإسلامية:

إن الهوية والثقافة تلعب دوراً غاية في الأهمية في حياة الشعوب، ماضيها وحاضرها ومستقبلها– ولهذا يمكن القول إنه لم يسبق في تاريخ الحضارات العالمية أن حظيت الهوية والثقافة بمثل ما تحظى به في العقود الأخيرة من الاهتمام الفكري، ولا أثارت من قبل ما تثيره في الدراسات حول طبيعتها ووظيفتها وعلاقاتها ومؤسساتها وأدواتها وتحديد لدورها في بناء الحياة المعاصرة والمقبلة، إن ما تفرزه الهوية والثقافة من القضايا الروحية والاجتماعية والفكرية، وما نتفتح عنه من الظواهر التي لم تسبق حجماً ونوعاً وتنوعاً لا يلقى خلاله على الحاضر فحسب، ولكن على صور المستقبل في علاقات الإنسان بالإنسان، حتى يكاد العصر اليوم أن يكون عصر الثقافة والهوية.

إن الهوية والثقافة الإسلامية لها من العناصر المميزة التي تجعل منها هوية وثقافة عالمية، وتكون رائدة للثقافات والهويات الإنسانية، فهي هوية وثقافة أصلية بعراقتها التاريخية، وهوية وثقافة إنسانية عالية، حفلت دوماً بقيم فكرية عالية كقيم الحق والعدل والمساواة واحترام

(1) محمد حسن البرغتى، مصدر سابق، ص 70.

المعرفة، وهي ثقافة شاملة لمظاهر المادة ولآفاق الروح، ثم إن الثقافة والهوية الإسلامية ترد من ينابيع الإلهام الديني الإسلامي، فتؤلف به أنموذجاً متفرداً.

وهي الثقافة والهوية القادرة على تميل الأخريات دون إذابة أو ذوبان، وتتميز بطوعية التطور الداخلي فيها عند كل منعرج حاسم من منعرجات التاريخ(1).

وتتميز الهوية والثقافة الإسلامية بمجموعة من الخصائص وهي:

أنها هوية وثقافة فاعلة ومنفعلة في الوقت نفسه، هذه الميزة الأساسية وهي تكاد تنفرد بها دون الثقافات الأخرى، وهذا ما أهلها لأن تلعب دورها. البنائي المؤسس لباقي الهويات والثقافات في العالم، ومن جهة أخرى هذا ما وفر لها الغني والشمولية والعمق والتميز، الذي ما زال حتى اليوم المنهل الذي يساعد عن التطور الثقافي في العالم، هذه القابلية والتطور الانتقائى من الثقافات والهويات الأخرى جعل من روافد الثقافة الإسلامية أساساً لثقافات الشعوب الأخرى.

إن الهوية والثقافة الإسلامية تتميز بالمرونة والتسامح، حيث إنه على الرغم من ما تحمله الهوية والثقافة الإسلامية من صفات التمييز، إلا أنها استوعبت بعض عموميات الثقافات والقيم والهويات السابقة، رغم أن هذا التأثير لم يكن مساوياً ولا شاملاً، فقد استوعبت ثقافات الفرس ونظمهم، وعلم اليونانيين وحكمتهم، ورياضيات الهنود وفلكهم، سبكتها في فضائها، فاندرجت في صميمها، وأصبحت جزء لا يتجزأ في حقيقتها، والقيم والثقافات الإسلامية مرنة لأنها قادرة على امتصاص المتغيرات دون حدوث اضطراب فيها، وهذه المرونة

(1) عبد السلام المسدي، العولمة والعولمة المضاردة، هذا (القاهرة، سطور للنشر، 1999)، ص 80.

تتضح أيضاً من خلال ما تتضمنه من متغيرات والبدائل، مما يدل على ديناميتها وحيويتها.

إنها هوية وثقافة عريقة وأصيلة، حيث إنها ذات شخصية متميزة مدت ظلها من أرض الجزيرة العربية إلى كثير من الدول، وكان لها أثرها الفعال في بعض النهضة الأوروبية الحديثة. والثقافة الإسلامية بما تحتويه من أخلاق حميدة وفضائل كريمة، أثرت في شعوب كثيرة. إن الحفاظ على كرامة الإنسان، والحفاظ على البيئة ومراعاة حقوق الإنسان تعد كلها من توابت القيم الإسلامية والهوية الإسلامية.

إنها هوية متوازنة أي أنها لا تفرط من القيم الروحية لحساب المادة، ولا تفرط في المادة لحساب القيم الروحية، وهي هوية وثقافة متميزة تهدف إلى خلق مجتمع فاضل لا أثر فيه للفساد. حيث إنه من أهم الأسباب التي تؤدي إلى النزاع والتوتر في العالم اليوم هو اختلال التوازن بين القيم الروحية والمادية، وسيطرة الاتجاه المادي على العلاقات الإنسانية.

إنها هوية وثقافة مؤثرة حيث إنه لا أحد ينكر الأثر العظيم الذي تركته الهوية والثقافة الإسلامية على الهويات والثقافات الأخرى، فهي زودت العالم بالكثير من القيم والمعارف، وأن العلماء المسلمين قدموا العديد من المساهمات في تطور الحضارة الإنسانية.

إنها هوية وثقافة إنسانية تحمل رسالة سماوية للإنسانية كافة، تهدف إلى كرامة الإنسان وإلى سعادته، فالهوية الإسلامية وقيمها تؤكد على وحدة الإنسانية، وتأخذ بيدها إلى طريق الإيمان والسلام، وإذا كانت الهوية الإسلامية إنسانية في اتجاهاتها الروحية، فهي إنسانية أيضاً فيما أنجزته من مبتكرات ومشروعات وعلوم أسهمت في تقدم الإنسانية ورخائها، وهي حضارة إنسانية عندها لا تفرق بين كافة شعوب الأرض، إذ أنه لا فضل لعربي على

أعجمي إلا بالتقوى، وهي إنسانية عندما تؤكد أحقية الإنسان وأهميته في أن يكون خليفة الله على الأرض، وهي إنسانية عندما تحث الإنسان على التأمل والبحث والتفكير، لكشف الحقائق المجهولة وتحقيق الإنجازات العلمية الكبرى(1).

ويمكن الإشارة إلى أن الهوية الإسلامية تتميز بالتنوع في إطار احترام الخصوصيات الفرعية، مع التأكد على الهوية الإسلامية حين أن هناك لإمتزاج واستيعاب حضاري لفئات مختلفة قبليا واثنيا، وحتى دينياً وصهرها في نسيج حضاري واحد، وفي امتداد تاريخي بعيد المدى، وبناء اجتماعي متكامل حيت إن أصحاب الهويات الفرعية في المنطقة الإسلامية يعتيرون أنفسهم جزء من الهوية الإسلامية، على الرغم من عدم انتمائهم للإسلام، ويعتبر القرآن الكريم أساس الهوية الإسلامية. وإن الإسلام كدين هو الذي اكسب الهوية للمجتمع الإسلامي محتواه الثقافي، وحدد سماتها وخصائصها، وقدم الإسلام للإنسانية رسالة في التسامح والعطاءات في مختلف مجالات الحياة، وانفتح على جميع الثقافات والهويات الأخرى(2).

ثالثاً: تأثيرات العولمة على الهوية والثقافة الإسلامية:

لقد أصبحت العلاقة بين الهوية والعولمة مثار اهتمام وتساؤلات في الأوساط الفكرية والثقافية، ولعل مرجع ذلك الخطر الداهم والسريع الذي تواجهه الهويات أمام زحف تيار العولمة، حيث إنها تصدم الهوية وقادرة على أحدات حالة من الإرباك في داخلها، من خلال المساس بمنظومة القيم، إن ارتباط العولمة بمفاهيم تستهدف الهويات وتسعى لإلغاء

(1) نجاح قدورة، مصدر سابق، ص ص 230- 232.

(2) محمد حسن البرغتى، مصدر سابق، ص ص 127- 128.

الخصوصية من خلال طرح صيغة توحيدية، تجعل الكثيرين يشككون في النية الحقيقة للغرب وأنصار العولمة، حين يري" ما يتلاو" أن دور أميركا هو دور شرطي يريد إعادة تنظيم العالم، وهو لا يرفض فكرة الاندماج، ولكن ينبغي أن تكون في ظل عولمة حقيقة" تحفظ للأخر حقوقه، وتتيح له فرصة المساهمة بفاعلية وإيجابية، ويري "مايتلار" في الهوية فعل إرادة واختيار، أكثر منه تبعية وامتثال، حيث إن للإنسان القدرة على تحديد هويته وتطويرها.

وينبه الجابري. إلى أن الاختراق الثقافي يستهدف أول ما يستهدف السيطرة على الإدراك، واختطافه وتوجيهه، وبالتالي سلب الوعي، والهيمنة على الهوية الثقافية الفردية والجماعية، وبالسيطرة على الإدراك، يقع إخضاع النفوس أعني تعطيل فاعلية العقل وتكييف المنطق والتشويش على نظام القيم، وتوجيه الخيال، وتنميط الدوق، وقولبة السلوك، والهدف تكريس نوع معين من الاستهلاك لنوع معين من المعارف والسلع والبضائع، معارف اشهارية تشكل مجموعها ما يمكن أن تطلق عليه " ثقافة الاختراق"(1).

ويري البعض أنه وفي نطاق أيديولوجية العولمة يصبح البعد الثقافي والقيمي الممثل للهوية هاماً للغاية، وفي ظروف العولمة أنها تتخذ اتجاها أحاديا، له طابع استهلاكي محض، وهذا الطابع يعطي الأولوية لمنتجات الترفيه، وهي من أهم المنتجات التصديرية الأمريكية الرئيسية، لكل بلدان العالم، وهذه المنتجات تقوم على تجاهل الخصائص الثقافية، ذات التنوع الكبير على المستوى الكوني، ووجود ثقافات وهويات متعددة ومتنوعة. والعولمة بدأت تلعب دورها في تمييع الهوية والتهوين من شانها، ويجب التفريق بين نقد الثقافة

(1) محمد حسن البرغتى، مصدر سابق، ص ص122-123.

والهوية والتهوين في شأنها، فالنقد هو الحركة الجسورة للعقل الذي يضع الثقافة والهوية موضع المساءلة، في تعددها وتعارضها، وهو الذي يضع خطاب العولمة تحت المجهر ويكتشف مخاطرها، عبر سرها بما يبعدها عن الهيمنة وينفي عن الهوية صفة التبعية، كما أصبحت الهوية تصطدم مع النزوع الأمريكي للهيمنة باسم العولمة، كما يري البعض، وهو نزوع يفرغ الهوية من محتواها. فيربط المواطن باللاوطن، ويربط الأمة باللأمة، فينمو الشعور بفقدان الانتماء للجماعة، أو الأمة وتصبح أيديولوجية عالم المؤسسات والشبكات العالمية، والشركات المتعددة الجنسية، وهذا التطور يخدم المؤسسات والشركات صاحبة الهيمنة الحقيقية على العالم. (1)

ويزيد من تأثير العولمة على الهوية من خلال كونها أداة للسيطرة على وعي الشعوب الإسلامية واتجاهاتها الفكرية، وربطها بمشاهد وصور ذات طابع إعلامي تستولي على العقول وتشمل فاعليتها، وتنمط الأذواق من أجل تكريس نوع معين من الاستهلاك لنوع معين في المعرفة والسلع كما سبقت الإشارة، من خلال وسائل الاتصالات حيث عملت على أحكام سيطرة الثقافة والهوية الغربية وبخاصة الأمريكية، وتمكينها من نقل القيم الغربية إلى جميع أرجاء العالم، فالإعلام بمؤسساته يمتلك كل الوسائل التقنية من أقمار صناعية وشبكات اتصالات حولت العالم إلى قرية صغيرة، وتلجأ قوي العولمة إلى توظيف للإعلام ووسائل الاتصال الحديثة لتحقيق عملية الاختراق الثقافي ونشر أفكار ومفاهيم معينة، حيث إن تكنولوجيا الاتصال المتقدمة تزيد فرص حصول المستهلكين على

(1) محمد عبد الحكيم دياب، ما بعد العولمة "عدوات على العرب وقك ارتباط مع الإسلام، ط1(القاهرة، المركز العربي الدولي للإعلام:2002) ص ص 24-26.

المعلومات والترفيه، إلى جانب السلع والخدمات، فإن الهوية العالمة الجديدة تهدد الهويات المحلية وعلى رأسها الهوية الإسلامية، والتحول تدريجيا إلى فرض عالمي لهوية الطرف القوى(1).

ويري الكثيرين إن العولمة التي تستهدف الهوية الإسلامية ستكون بكل تأكيد في وضع يستهدف الدين الإسلامي، باعتباره مكوناً رئيسيا للهوية الإسلامية، وتشير الوثيقة التي تحمل عنوان " الإستراتيجية المشتركة للإتحاد الأوروبي في المتوسط. والصادرة عن قمة الاتحاد الأوروبي عام 2000م إلى" سعي الاتحاد لتغيير بعض القيم الدينية في الدول الإسلامية المطلة على البحر المتوسط، بحيث تتوافق مع القيم الأوروبية، ويرتبط بدلك سعي بعض القوى المحافظة في الغرب إلى استهداف الإسلام والعالم الإسلامي كعدو جديد للغرب. وافتعال صراع حضاري جديد بينهما يتمكن بموجبه الغرب في فرض قيمه الثقافية وهويته نهائياً.

وإجمالاً يمكن القول أن هناك خطراً داهما لهذه الهوية الإسلامية بفعل سعي العولمة الحثيث إلى إحلال هوية واحدة محل الهويات الأصلية(2).

رابعاً: بسيل مواجهة هذه التحديات على الهوية الإسلامية:

إن الهوية الإسلامية تتعرض لمخاطر العولمة وتأثيراتها السلبية، حيث إن التغيرات السريعة والمتلاحقة في هذا العالم أوجدت وضعاً استثنائيا يهدد وجود الهوية الإسلامية، فلم يعد الذهول والاستغراب والخوف مما يجري أسلوب تعاطي صحيح مع هذه المتغيرات " بل

(1) عاطف السيد، مصدر سابق، ص ص 106- 107.
(2) محمد حسن البرغتى، مصدر سابق، ص128.

التفكير والمراجعة وإيجاد أليات فاعلة هي التي تحافظ على الهوية الإسلامية، ولقد ساد في المجتمعات الإسلامية موقفين تجاه العولمة، موقف رافض رفضا مطلقا للعولمة، وسلاحه الانغلاق الكلي، وما يتبع ذلك من ردود فعل سلبية، وموقف القبول التام للعولمة وما تمارسه من اختراق ثقافي واستتباع حضاري، شعاره الانفتاح على العصر.

إن الانغلاق موقف سلبي غير فاعل، لا يقاوم الاختراق الثقافي، ويكتفي فقط بتحصين ذاته داخلياً، والتحصين كما هو معلوم إنما يكون مفيداً عندما يكون المتحاربان على نسبة معقولة من تكافؤ القوى والقدرات، أما عندما يتعلق الأمر بظاهرة عالمية تدخل جميع البيوت، وتفعل فعلها بالإغراء والعدوى والحاجة، ويفرضها أصحابها فرضاً بتخطيط استراتيجي، فإن الانغلاق في هذه الحالة ينقلب إلى موت بطئ، قد تتخلله بطولات مدهشة ولكن صاحبه محكوم عليه بالإخفاق(1).

ومثل الانغلاق مثل مقابلة" الاغتراب" عن ثقافة الاختراق أعني أيديولوجية الارتماء في أحضان العولمة والاندماج فيها، ثقافة تنطلق من الفراغ أي من اللاهوية، وبالتالي فهي لا تستطيع أن تبني هوية ولا كياناً، حين يقول أصحاب هذا الاتجاه أنه لا فائدة من المقاومة، ولا في الالتجاء إلى التراث والقيم، بل يجب الانخراط في العولمة من دون تردد؛ لأنها ظاهرة حضارية عالمية لا يمكن الوقوف ضدها ولا تحقيق التقدم خارجها، إن الأمر يتعلق بقطار يجب أن تركبه وهو ماض في طريقة بنا أو بدوننا (2).

(1) نجاح قدورة، مصدر سابق، ص ص 238- 239.
(2) المصدر نفسه، ص 269.

ولذلك يمكن القول عن البحث عن مسار ثالث بين التمسك بالجوانب التراثية والسرعة في اللحاق بالغرب الثقافي، ضرورة للحفاظ على الهوية الإسلامية، حيث إن التصدي للعولمة لا يتأثر عن طريق غلق الأبواب أو فرض الإقامة الجبرية على الذات، وإنما بإعطاء الأهمية لما هو ثقافي، وتفعيل الثقافة الإسلامية وفتح أفاق الإبداع أمامها وإبعادها عن العبث السياسي. وإن الانفتاح على الثقافات الأخرى، وخاصة تلك المزودة بإمكانات القوة، يتطلب هوية قوية، وإلا تحولت الهوية الضعيفة على ضحية للثقافة والهوية القوية، وقوة الهوية تتحدد بالقدرة على تعزيز مقوماتها بتطوير تراثها، والأخذ بالعلم والتقنية وأسباب المعرفة الضرورية لمواجهة العولمة الثقافية(1).

ومن الضروري مواكبة العولمة وتحولاتها من خلال الاستجابة لمطلب الديمقراطية بخلق أدوات استشارية حقيقة، بالانفتاح على طاقات المجتمع المدني ورد الاعتبار للاختلاف والتسامح، وإدماج البعد الاجتماعي في عمليات التنمية الشاملة، وكذلك فإن مقاومة العولمة لا تتأتى بناء الأسوار العالية حول الهوية، أو بالانغلاق على الذات، أو رفض ما هو آت، بل الأمر يتطلب فهما عميقا للذات وفهما مماثلا للأخر، وعندئذ تتم المراجعة الثقافية مع الاستفادة من العناصر الايجابية في ثقافة الأخر، الذي من الضروري أن تتعايش معه، حتى وإن رأي البعض أنه في حالة صراع مع الأخر(2).

وأهم عوامل مواجهة التحديات التي تحدتها العولمة هو الاهتمام بالعملية التعليمية حيت أصبح التعليم اليوم ذا وظائف متعددة حيت يتجاوز دوره إعداد القوى البشرية للإسهام في

(1) محمد حسن البرغتي، ص 130.
(2) المصدر نفسه.

سوق العمل إلى الحفاظ على التراث الثقافي بما يتفق مع حركة المجتمع مع الاستفادة مما لدي الآخرين، ويؤدي فهم ذلك البعد إلى تطوير التعليم، واستحداث نظم تعليم جديدة ذات فعالية كبيرة، إن التعليم المستمر هو الذي يكفل النهوض بمختلف الجوانب النفسية والسلوكية والقيم الاخلاقية، فإن رفع القدرات التنافسية من خلال التعليم يقتضي مشاركة إيجابية من كافة القطاعات لإنشاء المؤسسات التعليمية، ويمكن أن تلعب المؤسسات التعليمة والإعلام دوراً مهم في توعية أفراد المجتمع بمخاطر العمولمة، وتنمية القدرة على الاختيار العاقل وتعزيز الانتماء للمجتمع، والارتباط الوفيق بقيمة وتراثه الحضاري، وتوفير البديل المقنع عن الثقافة الوافدة.

وللنهوض بالمؤسسات التعليمية وعملية البحث العلمي يتعين وضع استراتيجيات من أهدافها إحدات تعديلات هيكلية وإدارية في نشاطات البحث العلمي بحيث تقضي إلى تجانس نشاطات البحوث والتطوير بين مراكز ووحدات البحت العلم على جميع المستويات في المجتمع، والاهتمام بالتنمية البشرية والإعداد الجيد للقوى البشرية (1).

الخاتمة

حاولت الدراسة الإجابة على تساؤل رئيسي وهو تأثير العولمة على الهوية الإسلامية، وتساؤلات فرعية تتمثل في تحديد مفهوم العولمة والهوية، وتحديد طبيعة الهوية الإسلامية وكذلك تحديد الأثار التي تحدثها العولمة على الهوية الإسلامية وكذلك السبل الكفيلة لمواجهة هذه التحديات.

وقد توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج والتوصيات وهي:

(1) عاطف السيد، مصدر سابق 138.

أولاً: النتائج:

إن للعولمة تأثيرات كبيرة على الهوية والثقافة الإسلامية وخصوصا بعد التطورات الكبيرة جداً في وسائل الاتصال والتواصل الاجتماعي.

إن الهوية تعتبر وعى وإحساس بالانتماء إلى مجتمع وقيم معينة وإنها تتفاعل مع الثقافات الأخرى.

إن الهوية الإسلامية هدفا لهوية وثقافة العولمة؛ لان هذه الهوية الجديدة الوافدة تمتلك من عناصر القوة الكثير.

إن اتخاد موقف بالمقاطعة المطلقة للعولمة أو الارتماء الكامل في أحضانها يؤدي إلى القضاء على الهوية الإسلامية.

إن التفاعل مع الهويات والثقافات الأخرى لاغنى عنه في الحياة الإنسانية، ولكن يجب أن يتم هذا التفاعل بصورة متكافئة.

إن الاهتمام بالعلم والتدريب والتنمية البشرية هي السبيل الأمثل لمواجهة التحديات التي تواجه الهوية الإسلامية.

ثانياً: التوصيات:

العمل على تحصين الهوية الإسلامية وتطويرها من خلال الاهتمام بالتعليم والمعرفة وامتلاك أدوات التقدم العلمي.

العمل الإنساني المشترك لمقاومة أفكار الهيمنة وضرورة الاعتراف بالهويات المختلفة.

ضرورة الانفتاح على الأخر بالقدر الذي يحمي الخصوصية الإسلامية، ويمنح هذه الخصوصية الاستفادة من الآخرين.

المراجع

راوي عبد العال وآخرون، قياس الهوية دليل للمتخصصين في العلوم الاجتماعية، ص، (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2014).

محمد حسن البرغتي، الثقافة العربية والعولمة، ط1، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2007).

محمد كاظم هاشم، هوية الدولة في الفكر الإسلامي العاصر، مجلة العلوم القانونية والسياسية، جامعة ديالى، العدد الثاني، 2013.

محمود العالم، الفكر العربي بين الخصوصية والكونية، ط1 (القاهرة: دار المستقبل العربي: 1998).

عبد الهادي أبو طالب، أزمة الهوية في نظم التعليم في العالم الإسلامي، ط1، (الرباط: الأكاديمية المملكة المغربية، 1991).

نجاح قدوره، العولمة ومستقبل البلدان العربية،ط1، (طرابلس: دار الحكمة للتوزيع والنشر: بلا ث).

عمران محمد المرغتي الحدارى، العولمة وأثرها على سيادة الدولة، ط (طرابلس، المركز العالمي: 2008).

عاطف السيد، العولمة في ميزان الفكر دراسة تحليلية، ط1، (للقاهرة: فلمنج للطاعة. 2002).

عبد السلام المسدي، العولمة والعولمة المضاردة، هذا (القاهرة، سطور للنشر، 1999).

محمد عبد الحكيم دياب، ما بعد العولمة "عدوات على العرب وقك ارتباط مع الإسلام، ط1، (القاهرة، المركز العربي الدولي للإعلام:2002).